شبكة الإمام الآجري

خطبة بعنوان

استجلاب قلوب الناس إلى العبد

لفضيلة الشيخ

سالم العجمي

-حفظه الله تعالى-

فرغها واعتنى بها

مركز رياض الصالحين - دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمد عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70-71] أما بعدُ؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، و خير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه و سلم - ، و شر الأمور محدثاتها ، و كل محدثة بدعة ، و كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة في النار ، و بعد أيها المسلمون ، فإنه مما يعلم أنه كما قال أهل الأدب قديما : ليس الملك من ملك العبيد و العامة ، و لكن الملك من ملك القلوب .

إن مسألة استجلاب قلوب الناس إلى العبد لهي منة من الله عظمى ، و لا شك إذا كان هذا المرء يريد بهذا العمل وجه الله تعالى ، و يريد أن يقرب الناس منه ، التماسا للأجر ، و عملا بحديث النبي - صلى الله عليه و سلم - : " لا أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق " .

إن مسألة استجلاب قلوب الناس و كسب مودة الناس ، هذه سياسة عظيمة ، و حنكة يوفق الله - عز وجل - لها من شاء من عباده ، فمن وفق لذلك فإنه حاز الخير العظيم ، و الإنسان بما أنه في طبيعة حاله اجتماعي ، فلا بد أن تعرض له من مخالطة الناس ما يحب و يكره ، فيجد منهم ما يحبه و يجد منهم ما يكرهه ، و الموفق من وفق لحسن التعامل مع الناس ، و لذلك قال ابن عمر - رضي الله عنه و أرضاه - : التودد إلى الناس نصف العقل ، كونك تكون مألوفا إلى الناس ، و محبوبا إليهم ، و تتودد لهم بجميع الوسائل المشروعة ، التي نصت عليها آيات الله - عز وجل - في كتابه الكريم ، و سنة النبي - صلى الله عليه و سلم - ، و فعل أصحابه و سلف هذه الأمة ملتمس للأجر ، لا شك أن هذا من العقل ، و لذلك جعله ابن عمر - رضي الله عنه - أن هذا من نصف العقل .

و قد بينت السنة المطهرة كثيرا من الأعمال التي تكون سببا في استجلاب حب الناس ، و في استغواء قلوبهم إلى العبد ، و محبتهم له ، و قربهم إليه ، و تمنيهم أن يكون هذا المرء من خاصتهم ، و من ذلك أن يعطى العبد حلاوة اللسان ، هذه النعمة العظيمة ، و مسألة حلاوة اللسان أن يكون الإنسان منبسط للناس في لسانه و في قوله ، يقول لهم قولا حسنا ، و يدفع بالقول الحسن ، و يطلب منهم الشيء

باللفظ الحسن ، لا شك أن هذه منة ، و لذلك يكثر المرء النظر في كتب السنة ، فينظر كيف كان النبي - صلى الله عليه و سلم - يتعامل ، و كيف كان يقول و يفعل ، فإن هذا يغرس عنده الغرس الطيب ، و لذلك قال الله - عز و جل - : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: 34] ، قول حق ، و هذا أن يكون بينك و بين أحد من الناس خصومة ، أو أنه وجد في قلبه عليك شيئا ، فإذا بك تدفعه بقول حسن ، فيجعل الله - عز و جل - لك في قلب هذا المرء محبة .

و مثله في هذا الباب أن تكون مصلحا بين الناس ، و لذلك شرع الكذب في موطن الإصلاح بين الناس ، مع أنه كان كبيرة من كبائر الذنوب ، متوعد عليها العبد في جهنم ، كما جاء في حديث النبي - صلى الله عليه و سلم - " لما رأى من المعذبين رجلا يشرشر شدقه - و الشدق هو جانب الفم - رجل يشرشر شدقه إلى قفاه ، يفعل به هكذا في قبره إلى يوم القيامة ، قيل : من هذا ؟ قالوا : هذا الكاذب ، هذا الكذاب ، يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق " .

و مع ذلك شرع الكذب في باب الإصلاح بين الناس ، كأن تأتي إلى رجل بينه و بين أحد من إخوانه خصومة ، فتقول إن فلان يثني عليك خيرا ، إن فلان يذكرك بالخير ، سواء كان هذا بين الرجال أو بين النساء ، فتزرع المودة بقول حسن .

حلاوة اللسان هذه نعمة من الله - عز و جل - ، يمتن الله - سبحانه و تعالى - بها على من شاء من عباده ، أن يكون الإنسان لفظه حسن ، و هذا مما يؤدي به إلى حسن الخلق ، و أن يستجمع مكارم الأخلاق ؛ لأن هذه القلوب إنما هي صناديق

مقفلة و مغلقة لا يطلع عليها إلا الله ، و لكنك حين تدفع للناس في مكان حكومي ، أو في وظيفة ، أو في حاجة من الحاجات ، أو أن يأتيك سائل و ليس معك شيء ، فادفع بالتي هي أحسن بقول حسن ، و هذا من الخلق العالي ، و هو من استجلاب مودة الناس ، ينصرف عنك المرء و أنت قد رددته بشيء و لم تقض له حاجة ، و لكن لأنك ذكرت له قولا حسن ، فإذا بقلبه منبسط إليك ، و هذا من باب زرع المودة .

وكان النبي - صلى الله عليه و سلم - يأتيه من الناس أجناس من البشر ، و يأتيه أصناف من البشر ، منهم من يتعامل معه بفضاضه ، ومنهم من يتكلم معه بلفظ غليظ ، ومنهم من يأتيه بلفظ لين ، يختلف الناس فكان - صلى الله عليه و سلم - لسانه أحلى من العسل ، وكان لفظه طيبا كهيئته صلوات ربي وسلامه عليه .

دخل رجل إلى عائشه فستأذن على النبي - صلى الله عليه و سلم - فقال النبي - صلى الله عليه و سلم - : " ائذنوا له بئس أخ العشيرة " ، فلما دخل هذا الرجل إلى النبي - صلى الله عليه و سلم - ، ألان له الكلام ، فقالت عائشة - رضي الله عنها - : "يارسول الله ، قلت ما قلت ، فلما دخل عليك ألنت له الكلام" ، قال : " و متى عهدتيني فاحشا ، إن شر الناس من ودعه الناس أو تركه الناس ابتغاء فحشه " .

انتبهوا إخواني ! شر الناس من تركه الناس ابتغاء فحشه ، تجد الولد في البيت لا يستطيع أن يكلم الوالد لأنه فاحش ، قوي جلب صلب ، إذا قال له أبي أريد كذا أو أريد كذا يعرف أنه يرد عليه برد عنيف ، تأتي المرأة فتكلم الزوج في شيء ، تريد منه حاجة ، لا تستطيع أن تكلمه تعرف أنه جلبٌ غليظ سيرد عليها بلفظ شرس أو لفظ صلب .

انظروا ، يقول النبي - عليه الصلاة و السلام - : " إن شر الناس من تركه الناس ابتغاء فحشه " ، يعني يكون مثلا مسؤول ، يكون في طريق ، يكون في شارع ، يكون في محل ، يكون في البيت ، يكون بين إخوانه ، بين والديه ، لا يستطيعون أن يكلموه بشيء ، لأنهم يعرفون أن رده سيكون على هذه الحال .

فصدر عن ذلك الوعيد الشديد على لسان النبي - صلى الله عليه و سلم - ، ومسألة دفع الناس بالقول الحسن ، هذه من المداراة ، فإن المداراة عند أهل العلم هي أن تدفع الناس بالقول الحسن ولا تتنازل عن دينك في شيء ، لا تتنازل من أمر الدين في شيء ، و هذا عكس المداهنة والنفاق ، هو أن تأتي إلى أحد فتلين له الكلام ، وتتنازل عن أمر من أمور دينك من أجل أن تستجلب حاجة من حاجات الدنيا ، أما المداراة لأن المرء سيمر به كثير من هذه الأصناف ، يعني لو أنه في كل من تلفظ عليه بلفظ ، أو تكلم عليه بكلمة ، رد عليه برد عنيف ، في هذه خصومة ، و في هذه

مضاربة ، لا ينتهي معه الزمن ، ولا ينتهي الوقت ، والعمر قصير ، والمواقف تمر على الناس ، ولذلك قال القائل :

مَا دُمْت حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاةِ

مَنْ يَدْرِ دَارَى وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يُرَى عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ

لأنه سيندم ، سيجعل هذا في خصومة ، وهذا في مشكلة ، ويستجلب عداوة الناس ، ويستجلب حقدهم ، ويستجلب البغض ، ولن ينتهي معه الأمر ، ولن يقف إلى حد .

ومن الأمور التي تستجلب محبة الناس ، معاشرة الناس على الإغضاء منهم ، وذلك أن يغض المرء الطرف عن بعض الهفوات من الناس ، هؤلاء البشر ليسوا بمعصومين ، وكما يحدث منهم الخطأ يحدث منك أنت الخطأ ، فلا تنظر إلى هذا الرجل أنه تعامل معك بلفظٍ شديد ، لربما كانت ذلك اليوم نفسيته متعبة ، وأنت لربما مر بك مثل هذا الموقف ، إذا تذكرت ذلك فإنك ستدفعه بقول حسن ولفظ حسن ، ولا تدقق على جميع الألفاظ ، أحيانا الكلمة تخرج لهوى بالنفس ، أحيانا الكلمة تخرج من المرء لغرض في نفسه ، أحيانا تخرج هذه الكلمة هفوة ، أحيانا تخرج الكلمة من المقابل في حال عجلة ، لا يقصد منها شيئا ، فلا تكن في ذلك

دقيقا ، قال أبو الدرداء - رضي الله عنه وأرضاه - : إنا لنكشر في وجوه أقوام و إن قلوبنا لتذعنهم ، فبعض الناس لا يميز في كلام ، ولو ربما خرجت منه كلمة في حقك ليست بطيبة ، لكن العاقل ينظر إلى هؤلاء البشر أنهم ليسوا على درجة واحدة من العقل ، وليسوا على درجة واحدة من التفكير ، وليسوا على درجة واحدة من الاتجاه ، فإذا جعلت هذا نصب عينيك ، إن كان الرجل عاقل عاتبته بما يليق به ، وإن كان الرجل سفيها غضبت عن ذلك ولم تدقق عليه .

ومما يستجلب لك محبة الناس العفو عن الناس ، تكون صاحب عفو دائماً ، فإذا أخطأ في حقك أحد وجاء ليعتذر ، فليكن صدرك واسعا لتقبل العذر ، وليكن حتى قبل أن يعتذر قد قدمت له عذراً ، وأفضل ذلك إخواني ، أن ينسى المرء إساءة الناس إليه ، لأن هذه الحياة قصيرة فلا تقصرها بالهموم والأكدار ، هي قصيرة ، فلا تقصرها بجمع الشحناء والأحقاد ، بعض الكلمات لا تحتاج أن الأنسان يقف عندها طويلا ، أو أنه يكدر يومه ، أو أنه يعود إلى بيته متعباً نفسياً بسبب كلمة قيلت ، هي قيلت و انتهت ، وذهبت إلى مآل ، وانتهى ما وراءها فلا يدقق ، لا سيما إذا كان لا يترتب عليها كبير أثر ، ولذلك قال أيوب السخطياني - رحمه الله تعالى - : " لا ينبل الرجل - يعني يكون نبيل وله قدر وقيمة يبرز - ، لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان ، العفة عما في أيدي الناس - عفيف ، لا يطلب منهم ، ويكون

مستجديا ، و دائما يده هي اليد السفلى ، يطلب منهم هذه الدنيا ، العفة عما في أيدي الناس - والتجاوز عمن أساء منهم ". وأفضل من ذلك قول النبي - صلى الله عليه و سلم - : " ثلاثة أقسم عليهن - الذي يقسم محمد بن عبدالله - صلى الله عليه و سلم - ما تواضع عبد لله إلا رفعه " .

انظروا يا إخواني ! الذي يقسم محمد - صلى الله عليه وسلم - ، الذي لا يحتاج أن يقسم وهو الصادق المصدوق : " ثلاثة أقسم عليهن ، ما تواضع عبد لله إلا رفعه ، وما نقصت صدقة من مال - مهما تنفق وتتصدق لا ينقص مالك شيئا ، أبدا ، يدفع الله عنك من المساويء فيها ، أو يبارك لك في الزيادة - وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا " .

لايظن أن مسألة العفو هذه من الضعف ، بل إن العفو هي دليل على القوة ؛ لأنه لا يملكها أي أحد .

هذا الذي يكون في مكان ويستطيع أن يبطش ويستطيع أن يأخذ حقه ، هذا لا شك أنه إذا عفا هذا دليل الرجولة ، ولذلك قال - النبي صلى الله عليه وسلم - : " من كتم غيظا هو قادر على أن ينفذه - يعني يكون إنسان مسؤول ، يكون رجل وجيه ، يكون له قدر في المجتمع ، من كتم لكنه اغتاظ على أحد الناس ، لكنه لم يبطش به

تذكر هذا الحديث - من كتم غيظا هو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاب يختار من الحور العين ما يشاء "

لِمَ ؟ لأنه يستطيع أن ينفذ الغضب ، رجل قوي ، سواء كان القوة البدنية أو القوة الجسمانية أو القوة من ناحية المنصب الدنيوي ، ولكنه تذكر أن ما عند الله أفضل من إنفاذ الغضب على رجل لربما خرجت منه كلمة من غير قصد ، أو لضعف عقل . وهذا المرء حينما يعيش في هذه الدنيا يحصل من ذلك كثيراً ، وليس يخلو المرء من بد و لو حاول العزلة في رأس جبل ،و التواضع و خفض الجناح والبذل ، هذا من الأمور التي تقرب الإنسان إلى الناس ، يكون متواضعا في قوله و فعله ، يكون إنسانا بسيطا ، وليس معنى التواضع أن يكون ذليلا ، بل إن التواضع على عزة الإنسان و قدره ، يكون قد جعل الله - سبحانه و تعالى -له القدر بين قلوب الناس وبين صفوف الناس ؛ لأنهم يعلمون أنه كلما ازداد هذا العبد من الفضل سواء في العلم أو في المال أو في القدر أو في الصلاح أو في الجاه ، يقولون فلان هذا متواضع ، كلما ازداد خيرا ، فإذا به يزداد تواضعـًا ، و النبي - صلي الله عليه وسلم - ، أقسم أن الله - سبحانه وتعالى - يرفع من تواضع إليه .

ومن الأمور التي تقرب العبد إلى قلوب الناس ، إصلاح ذات البين ، يكون المرء مصلحاَ بين المسلمين ، يصلح ذات بينهم ، وهذه قد جعل الله – عز وجل - لها

قدراً عظيماً ؛ لأن مسألة الإصلاح بين الناس ليست بالأمر السهل ، مسألة إفساد ذات البين وأن يكون الناس في قطيعة ، هذه تؤدي إلى آثار ، تجد الوالد في قلبه على ولده ، وترى الولد لا يزور أباه ، وترى الأشقاء اللذان خرجا من رحم واحد لا يلتفت هذا إلى ذاك ، فيبعث الله – سبحانه وتعالى – رجلاً صالحاً في كلمة حسنة ، يقول كلمة يتقرب فيها إلى الله يصلح ذات بينهم ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " ألا أدلكم على ما هو خير من درجة الصلاة و الصيام والصدقة – طبعاً النوافل وليست الفرائض – قالوا : يا رسول الله ، بلى ، قال : إصلاح ذات البين – تصلح بين اثنين متخاصمين– فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " ، الله أكبر ، نعم ، تحلق الدين يا أخوان ؛ لأن الناس إذا أصبح بينهم التفاصل النفسي والمعنوي والانفصال في القلوب ، هذا لا يأمر هذا بمعروف ، وهذا لا ينهى هذا عن منكر ، و هذا لايصل رحماً ، و هذا لا يتقرب إلى الله – عز و جل – بمرضاته بهذه الرحم المعلقة ، فتصبح هذه المجتمعات متفككة .

ولا تظن أن هذه المسأله سهلة ، بل إنها تترتب عليها آثار كثيرة ، لانفصال ذات البين ، إذا لم يتعارف الناس قطعت أبواب الزواج ، وقطعت أبواب المودة ، وقطعت أبواب القربة ، لا تجد هذا يعرف عن هذا شيئاً ، أو هذا عن هذا شيئا ، بل

لربما بعد سنوات من الانفصال يجلس في مجلس فيعرف أن هذا ابن عمته أو ابن خالته ، فساد ذات البين و نشر الأحقاد بين المسلمين هي الحالقة ، ومن فعل ذلك باء بالإثم ، سواء كان ذلك بنميمة أو كذب أو بهتان ، وبعض الناس يسعى في ذلك سعاية عظيمة ، لا لشيء ، ولا يريد أن يحصل على شيء ، ولكنه يفعل ذلك من أجل مرض نفسي في نفسه ، يريد أن يسيطر على هذا وعلى ذاك ، أو أنه لا يريد أن بنات فلان تتزوج من أولاد فلان ، بعض النساء تفكر بعيداً فتبدأ تقطع الأوصال من هذا الباب ، وبعض الرجال يفعل ذلك ، يفكر تفكيراً بينه وبينه عشرين عاماً ، لكن هذه المسائل جعل الله – سبحانه وتعالى – لها العقوبة بالمرصاد ، لا شك إذا كان نماما ، فالنبي – صلي الله عليه وسلم – مر على قبرين يعذبان قال : " إنهما يعذبان ، وما يعذبان بكبير بل إنه كبير "، انظروا إلى هذا الحديث يا إخواني ، قال : " إنهما يعذبان ، ومايعذبان بكبير – في نظر الناس – ، ثم قال : بلى إنه كبير – عند الله – عز و جل – ، أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله ، – يعني إذا استنجى لا يتنظف من البول فيمس ملابسه فتبطل الصلاة فيه ، وتبطل طهارته ، لأنه احتمل النجاسة – قال : وأما الآخر ، فكان يسعى بين الناس بالنميمة ". ماهي النميمة ؟؟؟ النميمة هي نقل الكلام بين الناس على جهة الأجساد ،مو تجي الواحد وتقوله فلان ترى قال عليك ، ترى أنا ناصح ماني نمام ، هذه نميمة ، حط المعيار قدامك و أنا أخوك .

مسألة النميمة هي نقل الكلام بين الناس على جهة الأجساد ، ما تقول والله أنا بحسن الظن و الله قلت الكلمة ، لا والله ما قطعت أرحام ، أحيانا العلاقة بين فلان وفلان هي شعرة تبي تنقطع ، جيت إنت وقطعت هذه الشعرة .

نقل الكلام بين الناس أمر خطير ، ولذلك جعل الله – عز وجل – عليه هذه العقوبة ، هذا في القبر إخواني ، فكيف عقوبته عند الله ، أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، سواء كان رجلاً أو امرأة .

ولذلك المسلم الصالح يتقي الله دائما في قوله وفعله ، فلا ينقل لفظًا لربما قطع الأواصر و الصلات والأرحام ، لربما يكون إخوان متصافين من أقرب الناس ، فلا يزال من يأتي ولا سيما إذا كان من داخل البيت و هذا أخطأ ، كأن تكون امرأة أحدهما أو تكون أمًا ، وللأسف الشديد لا تتقن مسألة السياسة في المعاملة بين الأبناء ، أخوك قال عليك كذا ، وهذه تقول أخوك فضل كذا ، أخوك فعل كذا ، أخوك ، لربما ردها في المرة الأولى ، وفي الثانية الرد يكون خفيف ، وفي الثالثة يتقبل ، و في الرابعة تكون عنده يقينا ، وفي الخامسة تقطع الأرحام والأواصر .

ولذلك جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – فساد ذات البين هي الحالقة ، قال : "لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " ؛ لأنه إذا حصل الانفصال بين الناس

لم يحصل أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ، بل لربما لو جاءه أخوه بكلمة خير أو بمعروف ، لن يأخذ منه شيئا حتى لو كان ناصحا ؛ لأنه قد جاءه من أخبره أنه يريد المكر به ، أوأنه ليس لك بناصح ، أو أنه لايحبك أو.. أو.. أو.. إلخ .

ولذلك إذا كان المرء يريد الخير ، فليبث القول الحسن والفعل الحسن في الإصلاح بين الناس حتى لو كان بالكذب ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " ليس الكاذب بين الناس الذي يقول خيرا أو ينمي خيرا " .

انظروا إلى الكذب الذي هو كبيرة من الكبائر ومع ذلك يجوز في هذا الموضع أن تكذب ، أنت ما سمعت فلان مدح فلان ، لكن إذا سمعت هذا الآخر ذمه قل : لا ، أنا سمعت بالأمس يثني عليك خير، فإذا به يرتدع فتبث الخير بين الناس ، قال : " ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس أو يقول خيرا أو ينمي خيرا " .

ثم لابد أن يكون إذا أردت أن لا تخسر إخوانك أن تكون بهم شفيقـًا في حال نصحك ، تكون ناصحـًا لهم بالخير ، ويحسون وأنت تنصح لهم أنك تريد الخير ، لا تكتم الناس من الخيرشيئ ، لا يكون الإنسان حسود ، يعنى أخاف إني أقوله افعل كذا يصير مثلي ، أخاف إني أقوله كذا يصير نفس شهادتي ، أخاف إني أقوله

كذا يصير نفس منصبي ، لاتنظر هذه النظرة ، الذي يوزع الأرزاق هو الله ، و الذي أعطاك هو الله ، و الذي يعطيه هو الله .

وبعض الناس يبذل جميع الأسباب المادية والمعنوية ويدخل الواسطات ويفعل وما يتحصل على الذي يريد ، يعني بعض الناس الآن لربما يكون اجتمع جميع الصفات ، ومشتهي يكون طيار ، وجمع جميع الصفات ، يعني من ناحية الشهادة والنسبة والواسطة والدرجة وكل شيء ، لكنه إذا عمل له اختبار ، الرجل لا يتحمل الدوران ، هذه المسألة عند الله ، مسألة توزيع الأرزاق من الله - عز وجل - ، وكلما أزداد العبد يقيناً كلما خف عنه دافع الحسد للمسلمين ، إذا جاءك الخير فتمنى أن كل إخوانك المسلمين يحصلون على هذا الخير ، ولذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - يعني بين لنا أن المسلم والمؤمن الحقيقي هو الذي يتمنى أن يحصل لإخوانه المسلمين مثل ما حصل له ، ولذلك قال : " لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه " ، يا أخي سواء كان بدفع الشر عنه أو يجلب الخير .

ومن ذلك أن تكون لأخيك ناصحاً و تكون النصيحة بشفقه و برحمة ، وتكون هذه النصيحة من غير فضيحة ، سواء وجدت هذا الرجل على طريق يريد أن يصل إلى مكان ، فتنصحه بالخير ، يعني في دراسة أو في عمل تنصحه بالخير ، أو أن ترى هذا الرجل مقيم على خلق ليس بطيب تنصحه بالخير ، وإذا نصحته يكون نصحك

بالسر حتى لا تنفره ولا تفضحه ولا تشهر به ، فتنصحه بما عنده من المنكر إن بان لك ، ولا تنشره للناس ، فإنه لا يجوز للمسلم إذا نصح أخاه المسلم أن يفضحه ، ولا يجوز فضيحة أهل المعاصي مالم يكونوا بها مجاهرين ، يعني أنت تعرف فلان محترم ، و لكنه زلت قدمه يوم من الأيام ورأيته في مكان لا يليق ، لا يجوز لك أن تتكلم .

لذلك يخطئ بعض الناس بفهم الحديث وهو قول النبي – صلى الله عليه وسلم – " من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة " ، يظن أن هذا الحديث في الناس المستقيمين ، هذا الحديث في أهل المعاصي ، هذا الحديث في أهل المعاصي ؛ لأن صاحب الصلاح ماذا تستر عليه ؟ تستر عليه صلة الرحم ، تستر عليه صيامه و صلاته ، لا ، هذا الحديث يكون في أهل المعاصي ، إذا رأيت الرجل على معصية و لكنه مستتر فيها ، لم يجاهر ، لا يجوز لك أن تفضحه ولا تكشف عورته ، بل إن الواجب عليك أن تنصحه فيما بينك وبينه إذا كان مستتر بهذا الذنب .

أما الذي يظهره في الشوارع فهذا لا حرمة له ، وليس لفاسق ريبه ، كما قال الحسن البصري – رحمه الله تعالى – : وأما المستتر بالذنب فالواجب عليك كونك مسلم وهذا الرجل مبتلى ، ولو شاء الله عزوجل لكنت في مكانه وكان في مكانك ، فلا

تشمت فيه ، لكن الذي يجب عليك أن تنصحه بالسر راجيًا الأجر من الله - عز و جل - ، الذي يعيش في هذه الدنيا و يتعامل بالعفو و يتعامل بالمداراة و يتعامل بالتودد هو الذي يحصل على السعادة الحقيقية ، قال القائل:-

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ كَأَنَّهُ قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ

وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ وَفِي الْجَفَاءِ بِهِمْ قَطْعُ الْأُخُوَّاتِ

فَجَامِلِ النَّاسَ وَاجْمُلْ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَى ذَا تَقِيَّاتِ

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم .

...تم بحمد الله تعالى...